المحامي علي حيدر*

الكراهية والعنصرية والاقصاء تجاه المواطنين العرب في اسرائيل

شكلت انتفاضة الاقصى وأحداث تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٠... تحولا جديدا في العلاقات بين المواطنين العرب في اسرائيل من جهة وبين الدولة والأغلبية اليهودية من جهة أخرى. يستطيع المتتبع للواقع الاسرائيلي، أن يرى، منذ أحداث تشرين الأول/ أكتوبر، أن ظواهر مثل الكراهية والعنصرية والاقصاء تجاه المواطنين العرب بدأت تاخذ أبعادا جديدة، وهذا ما سنبينه لاحقا.

يعكس التعبير عن الكراهية الجماعية عند بعض السياسيين اليهود تجاه المواطنين العرب، دعما شعبيا متزايدا في صفوف المواطنين اليهود. فقد بينت استطلاعات الرأي العام لدى الجمهور اليهودي في بداية العام ٢٠٠٢ ازدياد عدد اليهود الذين يحملون أفكارا، معتقدات وآراء عنصرية ومتطرفة ازاء المواطنين العرب.نشرت هذه المعطيات بتوسع في الصحف (هآرتس ١١ ،١٢ ،١٣ ،٢٠٢).

هذه المعطيات التي جمعت وحللت بطريقة علمية لا تشير الى ظواهر هامشية في المجتمع اليهودي، فوسائل الاعلام تنشر دائما عن حوادث اعتداء، ضرب وتنكيل يتعرض لها مواطنون عرب، مما يشير الى ازدياد استعمال العنف الجسدي ضد المواطنين العرب وقياداتهم، ويرافق هذا العمل ظواهر اخرى مثل ابعاد المواطنين العرب عن جزء من الاماكن العامة كشواطىء البحار والمتنزهات وتعريضهم للتفتيش ومنعهم من العمل في اماكن معينة لكونهم عربا. توجت هذه الظواهر بانتظام مجموعة من المشغلين اليهود (محطات سيارات اجرة، مقاولو ترميم وبناء، محطات وقود وغيرها)مؤخرا ممن اعلنوا عن رغبتهم بتشغيل عمال يهود فقط. وقد نشرت قائمة هؤلاء المشغلين في الانترنت تحت اسم «عمل عبري» (هآرتس ٢٠٠٢/٩/٢٣) .

ممارسو هذه الأعمال لا يعملون في فراغ بل يستمدون قوتهم، وايمانهم، واستعدادهم وجاهزيتهم من تصريحات وتفوهات

* مدير مشروع التفضيل المصحح في جمعية سيكوي للمساواة المدنية.

السياسين ورجالات الدين والاعلام.

سنقف في بداية هذه المقالة الموجزة عند تفسير وتعريف مصطلحي العنصرية والكراهية. نسلط، بعدها الضوء على بعض جوانب هذه الظاهرة. ونشير في البداية الى أن هذه المقالة تشكل مقدمة لدراسة موسعة حول العنصرية والاقصاء، في مرحلة اصبح فيها النقاش حول الترانسفير جزءا من الخطاب الشرعي في وسائل الاعلام الاسرائيلية.

أ. سياسة الكراهية والإقصاء

يقف بعض السياسيين اليهود في مركز هذه الظاهرة ويعملون بأساليب مختلفة ضد اعضاء الكنيست العرب: يعرضونهم تارة على أنهم «متطرفون»، «خونة»، «طابور خامس» و«عملاء أجانب» و«متعاونون مع العدو» وتارة أخرى كمعتوهين. ويحاول بعض هؤلاء الانتقاص من شرعيتهم . ويقومون بهذا الأمر في محاولة التقليل من شأنهم وإقصائهم عن محاور التأثير، ومحاولة إسكاتهم والتعتيم على أفكارهم، وعلى مطالب الجمهور العربي.

يرتبط العمل في لجان الكنيست بتركيبة الكنيست الائتلافية، وتشكل هذه التركيبة انعكاسا للإئتلاف الحكومي. وتتعلق الانجازات الحقيقية في لجان الكنيست، مثل تقسيم كعكة الميزانية، بصفقات برلمانية بين الكتل المختلفة، بحيث تكون العملة المتداولة القدرة على التأثير الائتلافي، إن كان في الدورة الحالية أو بتلك التي تليها.

ويَمنَع الاقصاء المطلق لأعضاء الكنيست العرب عن الإئتلاف تحقيق أي إنجاز لجمهور ناخبيهم إذ انهم لا يملكون «ما يستطيعون بيعه» لزملائهم ، أعضاء الكنيست اليهود من القوائم الأخرى.

على ضوء ذلك، تتحول الكنيست بهيئتها العامة الى حلبة النشاط المركزية لأعضاء الكنيست العرب. وتتسم بعض تصريحاتهم بالحدّة. وقد خرجت هذه التصريحات في السنوات الأخيرة عما يتوقعه زملاؤهم اليهود . وامتاز أعضاء الكنيست العرب في الماضي بالكلام المتروي الذي يتقبل الدونية المدنية التي فرضت على العرب. ويعبر أعضاء الكنيست العرب في السنوات الاخيرة عن مزاج الجمهور العربي الذي لم يعد يقبل بشكل بديهي علاقات الهيمنة التي يفرضها الطرف المسيطر. وكما ذكر سابقا، وبما ان التمثيل البرلماني بجوانبه المادية يبقى مسدودا أمام اعضاء الكنيست العرب، لا يتبقى لهم سوى الحيز العام. ويعرضهم وقوفهم في مقدمةحرية التعبير لسموم بعض أعضاء الكنيست اليهود الذين يوجهونها تجاه الاعضاء العرب وتجاه المواطنين العرب عامة. وبالرغم من كل المحاولات التي تهدف إلى خلق الانطبا ع بالندية وكأن «الجميع يستطيعون قول كل شيء»، الا أن الأمر لا يعكس حقيقة ما يجري. ويمكن من خلال الامثلة المطروحة هنا الوقوف على حقيقة امتلاك اعضاء الكنيست اليهود وحتى المهمشين سياسيا منهم لامتيازات تفوق بكثير ما يملكه أعضاء الكنيست العرب. وتظهر هذه الامثلة مدى جسامة وفداحة الأذى الذي يسببونه لأعضاء الكنيست العرب ولناخبيهم.

مظاهرة عربية ضد مصادرة الأراضي

النائب ميخائيل كلاينر

النائب حاييم دروكمان

١. قانون تشجيع الهجرة: ألغت المستشارة القانونية للكنيست مشروع قانون خاصاً تقدم به عضو الكنيست ميخائيل كلاينر(حيروت) لتشجيع الهجرة إلى الدول العربية. وجاء هذا الالغاء بسبب طابع القانون العنصري والمنافي للديموقراطية والمتعارض مع قانون أساس الكنيست الذي يحدد عدم اشتراك قائمة في انتخابات الكنيست إذا ما تضمنت اهدافها او اعمالها بشكل مباشر او غير مباشر إلغاء الطابع الديموقراطي للدولة وتحريضا على العنصرية.١

وينص اقتراح كلاينر على ما يلي: «يحق لكل مواطن اسرائيلي يرغب في الهجرة إلى دولة عربية،الحصول على دعم مالي. ويشترط هذا المشروع، استحقاق الدعم المالي بالتنازل عن المواطنة الاسرائيلية أو على تأشيرة الاقامة الدائمة». وتقول المحامية آنة شنايدر «ستخلق الموافقة على اقتراح عضو الكنيست كلاينر وضعا تشجع الدولة معه اليهود من خلال الامتيازات المادية، على القدوم للعيش في الدولة، في الوقت الذي تشجع فيه الدولة العرب على مغادرتها.٢» وفي مطلع العام ٢٠٠٢ صادقت رئاسة الكنيست على تقديم اقتراح القانون المذكور بالرغم من توصية مستشارة الكنيست القانونية برفضه.٣

هدف عضو الكنيست ميخائيل كلاينر من اقتراحه هذا يبدو واضحا: إخراج كل من ينتمي الى مجموعة المواطنين العرب من دولة اسرائيل بواسطة الاغراءات المادية، وإدخال المنتمين للمجموعة اليهودية الى داخل حدود الدولةبالأسلوب نفسه. ولم يمنع تعريف مستشارة الكنيست لهذا الاقتراح على انه «عنصري»، رئاسة الكنيست من المصادقة على تقديمه.

٢. قانون «الالتفاف» على قرار المحكمة العليا بخصوص «كتسير»:

في بداية شهر حزيران ٢٠٠٢ صادقت الحكومة على مشروع قانون كان قد تقدم به الى الكنيست عضو الكنيست حاييم دروكمان من حزب «المفدال»، ويهدف الى الالتفاف على قرار المحكمة العليا في قضية كتسير الواقعة في المثلث الشمالي، وهو قرار قضى بالزام مستوطنة «كتسير» باستيعاب عائلة عربية ومنحها حق السكن في المستوطنة . ويتم حسب مشروع القانون تعديل قانون الهستدروت الصهيونية والوكالة اليهودية بحيث يتم التشديد في الاهداف المعلنة على اهمية الاستيطان اليهودي، كما ويوصي مشروع القانون بتوسيع قانون أراضي اسرائيل حيث تستطيع دائرة اراضي اسرائيل تخصيص الاراضي للاستيطان اذا ما صادق وزير الدفاع على الحاجة الأمنية لذلك.

هذا وكانت المستشارة القانونية للكنيست قد طلبت من رئاسة الكنيست فحص امكانية الغاء مشروع القانون وعدم تقديمه للكنيست لكونه مشروع قانون عنصري من حيث الجوهر(هآرتس ١٦. كانون الثاني ٢٠٠٢) الا ان رئاسة الكنيست قررت عدم الغائه وعرضته على الكنيست (هآرتس ١٩ شباط ٢٠٠٢) وطرح الموضوع في جلسة للحكومة فصادقت عليه الأمر الذي أثار ضجه اعلامية كبيرة وجوبه بنقد شديد من قبل اوساط محلية وعالمية، مما اجبر الحكومة على التراجع عن قرارها وتحويل القانون الى لجنة تبحث القوانين الاساسية والتي يرئسها بروفيسور يوفال نئمان.

بالرغم من ان قرار المحكمة العليا بقضية قعدان، لا يجيب على طموحات ومطالب الاقلية العربية الفلسطينية في اسرائيل لكونه يوفر حلا فرديا ولا يتعاطى مع الحقوق الجمعية، الا انه يحتوي على بعض المقولات التي تعزز وتؤكد جوانب معينة لحقوق المواطنين العرب المدنية.

النائب يسرائيل كاتس

النائب اليعازر كوهين(تشيتا)

ان اصطفاف اغلبية اعضاء الكنيست والحكومة وراء هذا القانون تعتبر خطوة خطيرة ومقلقة جدا، اذ انها تضفي شرعية على اقصاء العرب من مواقع سكنية. ويكمن الخطر الاضافي في انها تحمل في طياتها رسالة واضحة للمواطنين اليهود مفادها انه ليس المهم ما تقرره المحكمة العليا بل ما تفعله الكنيست.

١- الخروج من قاعة الكنيست عند إلقاء العرب لخطاباتهم: في كانون الثاني ٢٠٠٢ ، اقترح عضو الكنيست اليعيزر كوهين(تشيتا) من حزب «احدوت لئوميت»- اسرائيل بيتينو، ان يغادر كل اعضاء الكنيست اليهود قاعة الكنيست في كل مرّة يعتلي فيها عضو كنيست عربي المنصة لإلقاء خطابه. ووزع عضو الكنيست «تشيتا» رسالة بين اعضاء الكنيست وكان عنوانها «حالة الحرب مع الفلسطينيين». وسأل عضو الكنيست «تشيتا» في رسالته «هل يمكن لاحد ان يتخيل إمكانية ان يعتلي ألماني منصة البرلمان الانكليزي خلال الحرب العالمية الثانية ويقوم بإطلاق التصريحات الداعمة لألمانيا النازية؟ وليس أقصد هنا ضابطا في الإس.إس، أو أحدا من مرتدي البزة العسكرية أو حتى نازيا، بل مجرد ألماني عادي٤.»

أن تحويل أعضاء الكنيست العرب إلى اعداء في أزمنة الحرب، هو بمثابة وضع العلامة الفارقة عليهم ليكونوا هدفا محتملا للاعتداء والاذى. وأخطر ما في الأمر هو الصاق التهمة بالجمهور العربي كله من خلال ممثليه، وكأنه يعمل «لصالح ألمانيا النازية». نتائج هذا العمل خطيرة أتجاه العرب واليهود كمجموعتين تعيشان ضمن إطار مدني واحد.

٢- نشر عضو الكنيست يسرائيل كاتس صور أعضاء الكنيست العرب بجانب صورة بن لادن :

قام عضو الكنيست يسرائيل كاتس (ليكود) الذي بادر لمشروع قرار يقضي بمنع قائمة «تدعم الارهاب» من المشاركة في الانتخابات، بتعميم مغلفات تحمل صورا لأعضاء الكنيست العرب، إلى جانب صورة بن لادن، وعنون هذه المغلفات بهذا الشكل « كل واحد وبن لادنه، يجب التصدي للارهاب داخل الكنيست». وظهرت على المغلفات صور لعضو الكنيست عبد المالك دهامشة، واحمد الطيبي، وعزمي بشارة ومحمد بركة بجانب صور لبن لادن وعرفات وحسن نصرالله ومروان البرغوثي.(٥)

يتخطى ما فعله عضو الكنيست كاتس قضية الأذواق الشخصية وأساليب التعبير الخاصة، إذ أنه خطط بدقة لهذا العمل السياسي والعلني الذي أراد من خلاله تشويه سمعة اعضاء الكنيست العرب قاصدا القول: إنه في الوقت الذي تواجه فيه اميركا بن لادنها في أفغانستان، نواجه نحن أكثر من ابن لادن هنا في الكنيست. وقام كاتس بفعلته هذه من خلال وصف أعمال الأعضاء العرب في الكنيست بـ «الارهابية». وبالرغم من إرساله المغلفات لأعضاء الكنيست داخل المبنى قام كاتس «بتسريبها» الى الصحافة المكتوبة والالكترونية التي سارعت لإجراء المقابلات معه بهذا الخصوص. وتعدى الأمر النشاط البرلماني بين أعضاء الكنيست، إذ تم استعمال الكنيست من أجل ترسيخ صورة سلبية لأعضاء الكنيست العرب في صفوف الجمهور اليهودي، ووصفهم بانهم متعاونون مع العدو وانهم يمثلون الارهاب في الكنيست أضافة إلى كونهم أعداء للدولة.

٣- فكرة الترانسفير كنشاط سياسي: طالب النائب افغدور ليبرمان (عندما كان وزيرا) بتنفيذ ترانسفير لجزء من العرب في اسرائيل، وقد أسمع ليبرمان تصريحاته هذه خلال برنامج «لقاء مع الصحافة»، الذي تديره الصحفية شيلي يحيموفيتش وتبثه القناة

الثانية. وقال ليبرمان خلال اللقاء «لا أرفض خيار الترانسفير. لا يجب الهروب من الواقع. وإذا ما سألتني عن مشكلة إسرائيل الأولى أقول لك إنها ليست المشكلة الفلسطينية، بل أولا وقبل كل شيء العرب مواطني إسرائيل. سيضطر من يعرّف نفسه كفلسطيني الى الانتقال إلى فلسطين...لسنا بصدد أوهام وتصورات...فنحن نرى ما يحدث في ام الفحم، بما في ذلك التماثل مع بن لادن وحزب الله وكل أعداء إسرائيل. هل أنظر إلى هؤلاء كمواطنين في دولة إسرائيل؟ لا! وهل يجب علينا محاسبة هؤلاء؟نعم! عليهم البحث عن مكان ، يشعرون فيه بالراحة».(٦)

فكرة الترانسفير ليست جديدة، لكن الوزير السابق ليبرمان يتحدث عنها بطريقة عادية، وكأن الامور مفهومة ضمنا، ولا يخفى على أحد ما تحمله اقواله من تهديد واضح. ويثير هذا التهديد المخاوف الحقيقية لدى المواطنين العرب، وعليه ان يثير الخوف لدى ذوي النزعة الأنسانوية، وأن يدق ناقوس الخطر في آذان مواطني الدولة جميعا. ويشكل أي نوع من الترانسفير عملا غير انساني وغير مدني، وهذا ما تشكله التصريحات عن الترانسفير وخصوصا عندما يتفوه بذلك وزير في الحكومة، التي يفترض بها ان تدافع عن مواطني الدولة والاهتمام بهم، وليس محاولة تنفيذ الترانسفير بهم.

٤- نزع الصفة الإنسانية (de-humanization) إضفاء الصفة الشيطانية: إدعى الوزير العقيد(احتياط)إيفي إيتام ان البلدات العربية في الجليل هي عبارة عن خلايا سرطانية في جسم الدولة، وأن العرب يعملون على هدم الدولة، وانهم يشكلون تهديدا استراتيجيا للدولة اليهودية. وقيلت أقوال ايتام هذه خلال مؤتمر عقد في جامعة حيفا تحت عنوان «المدينة في القرن الواحد والعشرين في ظل الحرب»٧. وفي مكان آخر وصف إيتام العرب بانهم «يشبهون السرطان»: «إنهم يشكلون الى حد بعيد القنبلة الموقوتة الموضوعة تحت كل النظام الديموقراطي في إسرائيل داخل الخط الاخضر. إنه تهديد وجودي، يتميز بالمراوغة. وطبيعة التهديدات المراوغة أنها تشبه السرطان».(٨)

يطلق اسم السرطان على المرض الذي يشكل تهديدا للانسان المعاصر. ويشكل استعمال هذا المصطلح وتعريف بني بشر، مواطنين في الدولة على انهم «خلايا سرطانية»، اكثر من إهانة واكثر من مجرد عملية نزع الصفة الانسانية عنهم. إذ يتم تحويلهم إلى شياطين خطيرة. وهذه «الشياطين الخطيرة» هم مواطنو الدولة والوزير إيتام

ليبرمان: دعوات علنية للترنسفير

ككل الوزراء ملزم بالاخلاص لهم. ويُخِل الوزير إيتام من خلال هذه التفوهات بإخلاصه لمواطني الدولة. ومن المفترض أن تستدعي هذه التفوهات قيام كل المواطنين ضده. ويتضح أن مواطنة العرب في إسرائيل قد تآكلت إلى درجة لا يراها الوزير إيتام. وأكثر من كل هذا هو تعيينه وزيرا بدون أن يطلب منه أحد التخلي أو التراجع عن تصريحاته هذه. وتسبب هذه التصريحات التي تفوه بها وزير في الحكومة وقائد لتيار سياسي، ضررا فادحا بعيد الأمد للدولة وللمواطنين.وتثير هذه التصريحات المخاوف العميقة من احتمال تجذر هذه الأفكار داخل الجمهور اليهودي.

٥- قانون ضد التحريض على العنف والارهاب وتعديل لقانون أساس: الكنيست: في اواسط ايار لعام ٢٠٠٢ شرعت الكنيست قانونا ضد التحريض على العنف والارهاب كما انها عدلت قانون اساس : الكنيست والذي يحظر المشاركة في الانتخابات على شخص او قائمة تدعم النضال المسلح ضد الدولة.فاذا كان القانون الاول يهدف الى تقليص حيز حرية التعبير فان القانون الاخير يهدف الى اقصاء العرب من البرلمان.

٦- تقليص مخصصات الاطفال:لقد قررت الحكومة وصادقت الكنيست في اوائل حزيران ٢٠٠٢ على خطة الطوارىء الاقتصادية والتي سميت بـ «الجدار الواقي الاقتصادي» وتزامنت مع حملة الجدار الواقي العسكرية والتي تم بموجبها اجتياح الاراضي الفلسطينية. بحسب هذه الخطة قلصت الحكومة مخصصات الاطفال الذين لم يؤد ذووهم الخدمة العسكرية في الجيش الاسرائيلي بنسبة

٢٤٪ وتقليصها لأطفال أدى ذووهم الخدمة بنسبة ٤٪ فقط .

ان الخطة الاقتصادية هذه وضعت في سياق سياسي- اجتماعي معين، وتأثر معدوها من المناخ العام الذي يحرض ضد المواطنين العرب. للخطة الاقتصادية ولتقليص مخصصات الأطفال ابعاد قاسية على وضع المواطنين العرب، سواء على المستوى الاجتماعي ام على المستوى السياسي.

ان هذا القانون يمس بمبدأ المساواة ويتناقض مع قانون أساس: حرية الانسان وكرامته. ان استعمال معيار الخدمة العسكرية كمقرر لتوزيع الموارد العامة يفضح النية لاقصاء المواطنين العرب والتعامل معهم بصورة مختلفة ومميزة، كما انه يقوي احساس المواطنين العرب بانهم خارج المواطنة ويجري التعامل معهم على انهم اعداء.

٧- أحياء نشاط المجلس الديمغرافي العام: قرر مؤخرا وزير العمل والرفاه الاجتماعي احياء نشاط المجلس الديمغرافي العام، وذلك في اعقاب نشر معطيات دائرة الاحصاء المركزية التي تشير الى انخفاض الزيادة الطبيعية في عدد السكان اليهود، مقابل النمو في عدد السكان العرب. ويهدف المجلس الى البحث عن طرق لرفع عدد المواليد اليهود في اسرائيل. ان هذا القرار لا ينبع من فراغ فان أوساطاً واسعة من قيادات الدولة والجمهور اليهودي تنظر الى المواطنين العرب كمشكلة ديمغرافية. وقد طرح هذا الموضوع بشكل رسمي ومدروس على جدول أعمال مؤتمر هرتسليا لميزان المناعة والامن القومي. وتم التأكيد عليه في بنود «وثيقة كنيرت» التي بادرت اليها ٦٠ شخصية اسرائيلة بارزة، ووقعتها شخصيات رسمية وشعبية.

ب. في وسائل الإعلام

تلعب وسائل الاعلام دورا مهما ومركزيا في تحديد جدول الأعمال الجماهيري، لكنها تتأثر في الوقت ذاته من السياقات السياسية- الاجتماعية التي تتعايش داخلها. وعند تغطيتها للنزاع الاسرائيلي الفلسطيني، لا تحافظ وسائل الإعلام على أصول العمل الصحافي المتوازن والموضوعي، ولا تكتفي بعرض الحقائق أمام القارئ بل تسارع إلى تفسيرها واستنتاج النتائج المطلقة، مما قد يضلل القارئ والمستمع والمشاهد. ويقوم بعض المحررين باستعمال صلاحياتهم لإختيار الصور والألوان ويضعون العناوين التي لا تعكس بالضرورة ما يحدث على أرض الواقع، ولا رابط بينها وبين التقرير نفسه. وها هي بعض الامثلة:

٨- «حماس هنا بيننا»: في يوم الجمعة الموافق ١٢/١٧/ ٢٠٠١، بعد ستة ايام من حدوث عملية تفجير الباص رقم ١٦ في حي الحليصة في حيفا، نشرت صحيفة «كول بو»، المحلية من مجموعة «هآرتس» الحيفاوية في الصفحة ٣١ وهي الصفحة على جهة اليسار في الجريدة خبرا بعنوان «عز الدين القسام، فرع حيفا«حليصة». وفي الصفحة ٣٠ على اليمين نشر تقرير تحت عنوان ضخم يفتتح الفصل المتعلق بعملية التفجير «الشيخ رائد صلاح يدشن بعد عملية التفجير مصلى تابعاً للحركة الإسلامية في دالية الكرمل» إضافة إلى « ظاهرة في القرى الدرزية- استيطان فلسطينيين في الكرافانات» الذي يتحدث عن نساء مسلمات يتزوجن من فلسطينيين ويحضرنهم للسكن في قرى الكرمل. لكن الكاتب يذكر لاحقا «أن حجم الظاهرة لا يتعدى في هذه المرحلة عددا ضئيلا من الفتيات».

في رأس الصفحة ٣٠ كما في باقي الصفحات التي تعالج عملية التفجير، تم وضع صورة مثيرة للهلع من الإنفجار حيث يشاهد فيها شخص ملقى على الشارع ومغطى ببطانية وبجانبها كتابة« حيفا الحمراء».

يثير الربط والتداخل بين المقالتين في الصفحة ٣٠ وبين التقرير حول عملية التفجير الشكوك بان هذا الربط لم يكن محض صدفة، لان لا علاقة بالمرة بين عملية التفجير من جهة وبين تدشين مسجد أو سكن الفتيات المذكورات في قرى الكرمل من جهة اخرى. إضافة إلى ذلك وضعت على الصفحة الرئيسية لذلك العدد صورة تم التقاطها في الضفة الغربية أو في قطاع غزة ولا تمت بأية صلة لما حدث في حيفا.

يعتبر جهاز التعليم من الأدوات المركزية التي تساهم في الاعداد المجتمعي السياسي- المدني. ويتم من خلال هذا الجهاز إيصال القيم التي يريد القائمون عليه ترسيخها في الأجيال القادمة.

يعتبر عرض الصحيفة للأمور بهذه الطريقة كصب الوقود على النار ، إذ انها تضلل القارئ، ومن شانها التحريض على سكان حيفا العرب.

٩ - «فليخصى العرب»: تعكس الصحافة التي تمثل قطاعات سكانية معينة كالمهاجرين الروس مثلا توجهات عدائية للعرب. ويجهل العرب بطبيعة الحال ما يدور في وسائل الإعلام هذه ولا يتابعون ما تقوم بنشره او بثه، ولا علم لهم بحجم وطبيعة الافكار العنصرية و «الحلول» الجهنمية التي تقترح للتخلص منهم.

فعلى سبيل المثال نشرت جريدة هآرتس في تاريخ ١/١٨/

٢٠٠٢ تقريراً تحت عنوان« مقال في «نوفوستي» يدعو إلى خصي العرب» ومما جاء «نشر مقال في الاسبوع الماضي في جريدة «نوفوستي» الناطقة باللغة الروسية، يدعو إلى خصي عرب إسرائيل والاعلان عن جائزة مالية لمن يوافق على هذا الأمر بشكل طوعي. ويؤيد مرياو بلينكي، أحد أبرز الكاتبين في الصحيفة في مقاله الذي حمل عنوان: «كيف نجبرهم على الرحيل» تعقير السجناء العرب والأشخاص الذين اعتقلوا على خلفية أعمال معادية لإسرائيل. «ويدعو الكاتب» إلى أخذ العقلية العربية الخاصة بعين الاعتبار، ومؤدى خصي العرب المعتقلين أن يشكل وسيلة نفسية قوية، تستعملها الحركات السرية اليهودية من اجل زرع الهلع في صفوف العرب، وتشجيعهم على الهجرة الى خارج البلاد».

ومن اجل تحديد النسل في صفوف العرب في إسرائيل، يقترح الكاتب تطبيق الحل الصيني القاضي بمعاقبة الاهل الذين ينجبون أكثر من ولد واحد، وذلك من خلال سحب المكافآت والفصل عن العمل ووضع الاولاد في المؤسسات المغلقة ونفي الوالدين إلى أماكن بعيدة. ويقترح الكاتب إضافة إلى الاجراءات العقابية تشجيع تحديد النسل من خلال توزيع وسائل منع الحمل على العرب مجانا، او بسعر رمزي، وإقامة نظام تبن للاولاد العرب بهدف نقلهم إلى الدول العربية.(٩)

حتى وإن كان هذا المقال هامشيا وفاقدا الأهمية، فقد تم نشره في جريدة واسعة الانتشار، تطالعها قطاعات واسعة من الجمهور، وبالنسبة للكثيرين يشكل ما كتب فيها عرضا وبلورة لواقع الأمور. ويثير هذا المقال الاشمئزاز وعليه أن يشير بالضوء الأحمر للجميع بدون فرق بالقومية والدين والعرق والجنس.

ج.التربية والتعليم

يعتبر جهاز التعليم من الأدوات المركزية التي تساهم في الاعداد المجتمعي السياسي–المدني. ويتم من خلال هذا الجهاز إيصال القيم التي يريد القائمون عليه ترسيخها في الأجيال القادمة. وسنتطرق هنا لحادثة تعكس المفاهيم التربوية لجهاز التعليم، وليس المقصود هنا توجيه النقد للاولاد، إنما الإشارة إلى مسؤولية السلطة على ما يجري في الجهاز التربوي.

١٠– العرب معتادون على القتل: تطرقت الجريدة المحلية «إمتساع نتانيا» (وسط نتانيا) في تاريخ ٢٠٠١/١١/١٦ تحت عنوان «العرب معتادون على القتل» إلى ما حدث في أحد الاحتفالات المدرسية فكتبت تقول «تم أخذ هذا المقطع المثير للرعب من تمثيلية قام بتنفيذها طلاب الصف الثاني في حفل استلام كتاب التوراة في مدرسة «هدار هشارون» في منطقة تل–موند المتاخمة لكفارسابا، وقد احتفل هؤلاء مثل عشرات آلاف زملائهم ببداية تعلمهم للتوراة....بدأ العرض، وصعد الأولاد إلى المسرح بمجموعات متنكرة لشعوب مختلفة ....وقد حمل الولد الذي لعب دور الملاك بيده كتاب توراة وخرج للتجوال بين الشعوب المختلفة مقترحا عليها تقبل التوراة والوصايا العشر.وكان العرب واليهود الشعبين الوحيدين اللذين لبسا زيا متميزا حيث غطت مجموعة الشعب العربي رؤوسها بالكوفية بينما وضعت مجموعة الشعب اليهودي «الكيبا» (القبعة الخاصة باليهود). والتقى الملاك خلال تجواله «الشعب العربي» الذي سأل الملاك كباقي الأمم «ماذا كُتب بالتوراة؟» فاجاب الملاك «لا تقتل»، عندها أجابه الاولاد بجوقة واحدة «لا، لا نريدها فنحن معتادون على القتل»، وأخلوا الطريق للمجموعة التي تليهم، وهي مجموعة «الشعب اليهودي» التي لم تطرح الاسئلة بل أجابت : «نعمل ثم نرى».

لم يكتب الاولاد هذا العرض، كما يحدث في تمثيليات انهاء الدراسة الثانوية. وقام بكتابته –على الأرجح– أناس كبار من داخل المدرسة او من خارجها. ولا يشكل هذا العرض كلاما عابرا يمكن تجاهله. وبالرغم من محلية هذا العمل، تقع مسؤوليته على الجهاز العام، ألا هو وزارة المعارف. وتكفي بعض المراجعات المدرسية للتمثيلية كي ينغرس النص عميقا في وعي وأذهان أولاد المدرسة الابتدائية «هدار هشارون». وإضافة للإدانة الجماعية الذي يقوم به هذا التعميم الفظيع، فهو يربط «الطابع القومي» بتداعيات دينية تمتاز بعمقها الروحي، وستكون مهمة اجتثاث هذه الاقوال التحريضية من عقول الاولاد عسيرة للغاية، هذا إذا تكللت أصلا بالنجاح.

تلخيص :

أردنا من خلال هذه المجموعة من الظواهر كشف بعض أوجه الكراهية والعنصرية وبعض أشكال إقصاء المواطنين العرب في الاعلام والتربية. وتقع على عاتق كل هؤلاء نفس المسؤولية التي تقع على عاتق السلطة. ولا يتسع المجال هنا للتطرق لكل حالات العنصرية والكراهية التي سادت وسائل الإعلام في السنتين الأخيرتين. وتشير قراءة صحيحة ويقظة للاحداث المذكورة أعلاه إلى ظاهرة خطيرة ومقلقة، تقض مضاجع المواطنين العرب وتثير الخوف لديهم. ولا ينبع

هذا التعامل المهين من المعاني والتفسيرات التي تعطى للفروقات الحضارية بين اليهود والعرب فقط، بل من غياب الاستعداد لتقبل المواطنين العرب كمتساوين في الحقوق وشركاء في بناء هوية وطابع الدولة ومواطنيها.

وتشكل الأعمال والتصريحات والافكار التي استعرضناها هنا أرضية خصبة لنمو عنصرية اكثر خطرا، التي قد تتحول بدورها إلى أعمال عنف بين اليهود والعرب. ويجدر من اجل محاربة الظواهر السلبية مثل العنصرية والكراهية كشف ومعالجة مجمل الاحاسيس التي تخلق هذا النوع من الخطاب وما يغذيه. من البديهي ان يتاثر الجمهور بزعاماته، وأن يتضاعف ضرر التصريحات العنصرية التي تتفوه بها الشخصيات القيادية. إذ تنتقل هذه التصريحات إلى الجمهور الذي قد يستوعبها ويترجمها إلى أفعال سلبية .

يجب أيقاف هذا المسار السلبي حالا، ويجب البدء في قمة الهرم . ويجب على الدولة استثمار الطاقات والموارد الضخمة من أجل ايقاف هذا المسار الرهيب من أجل شق مسار جديد من الحياة المستقبلية المشتركة.

كما يترتب على المواطنين الفلسطينيين وقيادتهم في الداخل وضع تصور جماعي، وتحديد استراتيجية واضحه وآليات عمل متنوعة لمجابهة هذه الموجةالشرسة من العنصرية والكراهية. ولا تنجح هذه المواجهة الا اذا سبقها وعي وتنسيق جماعي، وعمل مدروس ومنظم.

١. هآرتس،٢ أيلول/ سبتمبر، ٢٠٠١.

٢. هآرتس،٣١ كانون الثاني/ ديسمبر ٢٠٠١.

٣. هآرتس، ١٩ شباط ٢٠٠٢.

٤. هآرتس،٢٤ كانون الثاني٢٠٠٢، تحت عنوان «اليعازر كوهين: لنخرج من القاعة عندما يتكلم العرب».

٥. هآرتس، ٢٢ أكتوبر/ ٢٠٠١، تحت عنوان «عضو الكنيست كاتس ينشر صورا لاعضاء الكنيست العرب بجانب صورة بن لادن».

٦. يديعوت احرونوت، ٢٨ كانون الأول ٢٠٠١.

٧. جريدة فصل المقال،١٤ شباط ٢٠٠٢.

٨. يديعوت أحرونوت،٥ نيسان ٢٠٠٢.

٩. تحليل عميق لأداء الصحافة المكتوبة في إسرائيل، في كتاب الدكتور دانيئيل دور «صحافة تحت التأثير»، إصدار بابل،٢٠٠١. وفي نشرات مركز قيشب، المركز للدفا ع عن الديموقراطية في إسرائيل(بالعبرية) وإعلام – مركز الاعلام في المجتمع العربي في إسرائيل.